

مفاهيم القرآن

(530) قومهم ودولتهم إن كان لنا أسرى عندهم أو بمال نأخذه منهم. وجملة القول، أن اتّخاذ الأسرى إنمّا يحسن ويكون خيراً ورحمة ومصلحة للبشر إذا كان الظهور والغلب لأهل الحقّ والعدل، إمّا في المعركة الواحدة فبإيثارهم لأعدائهم من المشركين والمعتدين، وإمّا في الحالة العامّة التي تعمّ كلّ معركة وكلّ قتال فبإيثارهم في الأرض بالقوّة العامّة والسلطان الذي يرهب الأعداء (1). والعجب أن الدكتور محمّد فتحي عثمان الأستاذ بكلية العلوم الاجتماعيّة قد نقل في تأليفه "من أصول الفكر السياسي الإسلامي" في الصفحة 206 عن الكاتب الشهير محمّد عبد الله درّاز في كتابه "دراسات إسلاميّة في العلاقات الاجتماعيّة الدوليّة" في بحث الإسلام والرقّ، كلمة صرح فيها (بأنّنا إذا نظرنا في القرآن لم نجد فيه أثراً لقتل الأسير والاسترقاق). أقول: أمّا الاسترقاق فصحيح أنّه لا يوجد في القرآن ولكنّه ورد في الأحاديث الإسلاميّة، وإن كان الاسترقاق خطوة انتقالية إلى أمر آخر وهو تربيتهم على النهج الإسلاميّ ثمّ تحريرهم. وأمّا قتل الأسير فيدلّ عليه قوله سبحانه: (مَا كَانَ لِلذَّيْبِيِّ أَنْ يَتَّخِذَ الْكُفْرَ لَهُ سُبُلًا لَّيُكْفِرَ بِهِ وَلَا يَكُفِّرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُ قُلْ كُلٌّ عِنْدَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِالْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الْحَقُّ وَيَكُفِّرُ بِالْأَسْرِ الَّذِي هُوَ الْبَاطِلُ) (الأنفال: 67) وقد عرفت المراد من الآية. * * * الأمر الثاني: قد عرفت أن الإمام مخيّر في الأسارى المأخوذين بعد وضع الحرب أوزارها بين أمور منها الاسترقاق، فلا بدّ من بيان النكته في ذلك. إنّ الاسترقاق لأجل أنّه ربّما تكون المصلحة المنحصرة فيه إذ ربّما يكون إطلاق سراحهم بلا عوض أو مع العوض سبباً لاجتماعهم مرّة أخرى وتآمرهم ضدّ الإسلام والمسلمين، ويكون الحبس أمراً شاقّاً وعسيراً. _____ 1- المنار